أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب الجزائري

(دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة محمد خيضر بسكرة)

"دراسة استكشافية"

أ:حنان مراد

– جامعة محمد خيضر بسكرة

أ: حنان مالكي

–جامعة محمد خيضر بسكرة

الملخص:

تعتبر المواطنة من أكبر التحديات التي تواجهها الدولة الحديثـــة والمـــواطنين فيها، فإما بناء مواطن فاعل ومسؤول وواعي لمسؤولياته وحقوقه، وإما الغرق فـــي أشكال مختلفة من التشتت والفساد، والولاءات الضيقة التي باتت تحتل الأولوية أحيانا على حساب المواطنة والانتماء والهوية، فالدولة الحديثة ليست مجرد مؤسسات للحكم ودستور مكتوب، وجيش وقانون، بل مشروع مجتمعي متكامـــل وظـــاهرة للتعـــاون والتفاعل الوثيق بين مواطنين واعين وناشطين، فهم مصدر الســـلطة، وهنـــا يشـــكل الشباب الفئة المقصودة والمعنية والمعول عليها للحفاظ على القيم الاجتماعية للمجتمع والاحساس بهويته والاعتزاز بها والتضحية من أجلها مع الانفتاح في نفـــس الوقـــت على الثقافات الأخرى والتفاعل معها في جو من الانسجام والموضـــوعية، وإعـــادة التوازن بين ما هو محلي وماهو كوني للتخفيف من غلواء قيم العولمة وما صـــاحبها من تحولات وانهيار للحدود بين الثقافات المحلية والعالمية، وما صاحب ذلك من آثار سلبية أحيانا، فالشباب الجزائري مثلا مطالب بالمحافظـــة علـــى الهويـــة الوطنيـــة والخصوصية الثقافية بشكل يضمن الانتماء الذاتي والحضاري للمواطن دون تصـــادم مع الأفكار الرائجة في محيطه، وهذا ما سنحاول التطرق إليه في دراستنا الاستكشافيه هذه، والتي تتمحور حول: أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنـــة لـــدى الشـــباب الجزائري.

الجانب النظري للدراسة

الاشكاليـــة:

تعد المواطنة من القضايا القديمة المتجددة التي ما تلبث أن تفرض نفسها عند معالجة أي بعد من أبعاد التنمية بالمفهوم الإنساني الشامل بصفة خاصـــة ومشـــاريع الإصلاح والتطوير بصفة عامة، وفي هذا السياق احتلت هذه القضية مساحة كبيرة في الدراسات السياسية والاجتماعية والتربوية، وتعددت أبعاد المواطنـــة فـــي علاقاتهـــا الممتدة عبر قضايا تتمحور في علاقة الفرد بالمجتمع والدولة من خلال أطر قانونيـــة منظمة للحقوق والواجبات، ومبينة مواصفات المواطن وأبعاد المواطنة حسب المنابع الفكرية للدولة ومرجعية نظرياتها السياسية، ومع تغير طبيعة العالم المعاصر من حيث موازين القوى ، وسيطرة القطب الواحد، وظهور التكتلات السياســية والاقتصـــادية وتنامي البنى الاجتماعية الحاضنة للفكر الليبرالي وعبوره للحدود الجغرافية والسياسية على الجسور التي مدتها تكنولوجيا الاتصال، والتركيز على خيارات الفـــرد المطلقـــة كمرجع للخيارات الحياتية والسياسية اليومية في دوائـــر العمـــل والمجتمـــع المـــدني والمجال العام، مع هذه التغيرات العامة بالإضافة إلى التغيرات الخاصة التـــي تحـــيط بالعرب والمسلمين شهد مفهوم المواطنة تبدلاً واضحاً فـــي مضـــمونه واســـتخداماته ودلالاته والوعي الفردي بمبادئه وما يرتبط به من قيم وسلوكيات، وتسلط الضوء على قضايا مجتمعية تمس جوهر هذا المفهوم لدى الفـــرد الجزائـــري، وتعـــرض إطـــاراً مفاهيمياً مغلفاً بشعارات تأخذ بالمشاعر وتؤثر على مسارب تفكير العقول خاصة لدى فئة الشباب ومن هم في سن القابلية للاحتواء أو الاختطاف الفكري والثقـــافي بحكـــم خصائص المرحلة العُمرية التي يعيشونها، ويثير ذلك جدلاً في الأوســـاط السياســـية والدينية والتربوية حول مدى تأثر مفهوم المواطنة لدى الشباب، وفي هذا السياق تأتي الدراسة الحالية لاستكشاف أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى عينـــة مـــن الشباب الجزائري الجامعي وتبدأ دراستنا الاستطلاعية من إشكالية مفادها:

إلى أي مدى يؤثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب الجامعي؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

- التأصيل النظري لمفهوم المواطنة والانتماء.

– استخلاص أهم أبعاد المواطنة بمفهومها العصري من خلال أدبيات الفكر السياسي والاجتماعي.

– تحديد أهم المتغيرات العالمية المعاصرة التي انعكست على مفهوم المواطنة.

– التعرف على طبيعة وعي الشباب الجزائري بأهم بعـــدي المواطنـــة (الهويـــة – الانتماء).

– الوقوف على الفروق بين وعي الشباب بأبعاد المواطنة باختلاف متغير الجـــنس – نوع التعليم – محل الإقامة – المستوى الاقتصادي للأسرة – مستوى تعلـــيم الوالـــد .

– تقديم رؤية مقترحة حول آفاق تفعيل مبدأ المواطنة ودور مؤسسات المجتمـــع ذات العلاقة في ذلك.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من طبيعة الموضوع الذي تتناوله،حيث تعد المواطنة من القضايا ذات الأبعاد السياسية والأمنية التي تعبر عـــن معـــايير الانتمـــاء ومســـتوى المشاركة من قبل الأفراد في الحماية والذود عن الوطن ، كما تعبر عن وعي الفـــرد بالحقوق والواجبات والنظر للآخر، وصيانة المرافق العامة، والحرص على المصلحة الوطنية، كما تعكس مدى إدراكه كمواطن لدوره في مجابهة التحديات التـــي تواجـــه المجتمع والدولة في آن واحد. وتتضح أهمية الدراسة أيضاً من خلال ما تسعى إليـــه من استكشاف طبيعة وعي الشباب بأبعاد المواطنة وتحديـــد الفـــروق ذات الدلالـــة الإحصائية حسب المتغيرات المختلفة، وتكتسب الدراسة أهمية خاصة من خلال مـــا تطرحه من مقترحات لتفعيل مبدأ المواطنة في ظل المتغيرات التي يشهدها المحـــيط العالمي والمجتمع المحلي.

تحديـــد أهم مصطلحات الموجودة في الدراسة:

أولاً : مفهوم المواطنة.

أ– المواطنة في اللغة: مشتقة من وطن، وهو بحسب كتاب لسان العرب لابن منظور "الوطن هو المنزل الذي تقيم فيه، وهو موطن الانسان ومحلـــه...ووطـــن بالمكـــان واوطن أقام، وأوطنه اتخذه وطنا، والموطن...ويسمى به المشهد من مشاهد الحـــرب وجمعه مواطن، وفي التنزيل العزيز: "لقد نصركم الله فـــي مـــواطن كثيـــرة ..."، والمواطن : الذي نشأ في وطن ما أو أقام فيه وأوطن الأرض: ووطنتها واستوطنتها،

أي اتخذتها وطنا، وتوطين النفس علـــى الشـــيء كالتمهيـــد(ابـــن منظـــور: لســـان العرب،1968، ص451).

ب- أما في الاصطلاح: فالوطنية تأتي بمعنى حب الوطن Patriotism في إشـــارة واضحة إلى مشاعر الحب والارتباط بالوطن وما ينبثق عنها من استجابات عاطفية ، أما المواطنة Citizenship فهي صفة المواطن والتي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية ويعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التربية الوطنية ، وتتميـــز المواطنـــة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب والتعاون مـــع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردي الرسمي والتطـــوعي فـــي تحقيق الأهداف التي يصبو لها الجميع وتوحد من أجلهـــا الجهـــود وترســـم الخطـــط وتوضع الموازنات. ولقد عرفها "أحمد حكمت شمس الدين/ الجمعية اللبنانية لحقـــوق الإنسان"، بأنها: تعني بمفهومها الواسع الصلة أو الرابطة القانونية بين الفرد والدولـــة التي يقيم بشكل ثابت، وتحدد هذه العلاقة عادة حقوق الفرد فـــي الدولـــة وواجباتـــه تجاهها، أي يعني المواطن الانسان الفرد العضو الكامل في الدولة، والمواطنة علـــى أنها الوضعية القانونية الأساسية في الدولة المعاصرة، ويقـــف الفـــرد أمـــام الدولـــة كمواطن قبل كونه أي شيء آخر، وعضويته في الدولة لا في الطائفة، ولا في العائلة، ولا غيرها في الانتماءات الأخرى. وفي قاموس علم الاجتماع تم تعريف المواطنـــة: بأنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة) ومـــن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول (المواطن) الولاء، ويتـــولى الطـــرف الثـــاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق أنظمة الحكم القائمة(عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، 1995، ص56). ويذهب الباحثون في علم الاجتماع إلى تعريف المواطنة في المجتمع الحديث على أنها علاقة اجتماعية تقـــوم بـــين الأفـــراد والمجتمع السياسي (الدولة)(سعيد عبد الحافظ:المواطنـــة حقـــوق وواجبـــات، ب ت، ص06). ومن منظور نفسي: فالمواطنة هي الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات مـــن الأخطـــار المصيرية وبذلك فالمواطنة تشير إلى العلاقة مع الأرض والبلد. أما السيد ياسين فيرى "أن المواطنة جوهرا يعطي مرة واحدة وللأبد"(السيد ياسين: المواطنـــة فـــي زمـــن العولمة، 2002،ص22). وتعرفها الموسوعة العربية العالمية بأنها: "اصطلاح يشـــير إلى الانتماء إلى أمة ووطن".

والمواطنة بصفتها مصطلحاً معاصراً : تعني علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون اي بلد او دولة ، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق – متبادلة – في تلـــك الدولة، متضمنة هذه المواطنـــة مرتبـــة مـــن الحريـــة مـــع مـــا يصـــاحبها مـــن مسؤوليات(الزبيدي، المواطنة، 1421هـــ،10).الموسوعة العربية العالميـــة، 1996، 311).

فالمواطنة:

–تعني الارتباط القوي بالدولة والنظام السياسي بكل ما يرتبه ذلك من التزامـــات وحقوق.

–ويتمثل الجانب الايجابي من مفهوم المواطنة في ممارسة الحقوق.

ومن ثم تعرف: "بأنها نسق من الحقوق المضمونة دستوريا لكل أعضاء المجتمـــع السياسي".

– أبعاد المواطنة: لتحديد المواطنة يمكن مقاربتها على الأقل من خلال ثـــلاث أبعـــاد أساسية:

أ–البعد الفلسفي والقيمي: مادامت المواطنة هي انتاج ثقافي انساني (أي لـــيس انتاجـــا طبيعيا)، فهي تنطلق من مرجعية فلسفية وقيمية تمنح دلالاتها من مفـــاهيم الحريـــة، والعدل، والحق، والخير، والمصير والوجود المشترك وغيرها.

ب–البعد السياسي والقانوني: حيث تحدد المواطنة كمجموعة من القواعد والمعـــايير التنظيمية والسلوكية والعلائقية داخل المجتمع؛ التمتع بحقوق المواطنة الكاملة، كالحق في المشاركة والتدبير واتخاد القرارات وتحمل المسؤوليات، القيام بواجبات المواطنة، الحق في حرية التعبير، الحق في المساواة وتكافؤ الفرص...

ج– البعد الاجتماعي والثقافي: وهو كون المواطنة تصبح كمحدد لمنظومة التمثلات والسلوكيات والعلاقات والقيم الاجتماعية، بحيث تصبح المواطنة كمرجعية معياريـــة وقيمية اجتماعية، وكثقافة وناظم مجتمعي. .وقد حاولنا مـــن خـــلال هـــذه الدراسة شرح مفهومين آخرين إلى جانب المواطنة لارتباطهما الوثيـــق بهـــا وهمـــا الانتماء والهوية.

ثانيا: مفهـــوم الانتماء.

إن الانتماء Belongingness بمفهومه البسيط يعني الارتبـــاط والانســـجام والايمان مع المنتمي إليه وبه، "وهو شعور بالترابط وشعور بالتكامل مـــع المحـــيط،

الانتماء أساس الاستقرار"[1] ويعرف الانتماء بأنه "النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هـذا الاطـار وبنصرته والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى"(نجلاء عبد الحميد راتب: الانتماء الاجتماعي للشباب المصري،1999،ص57). وورد فـي معجم العلوم الاجتماعية أن الانتماء هو ارتباط الفرد بجماعة؛حيث يرغب الفرد فـي الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها مثل الأسرة أو النادي أو الشركة(أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، 1978،ص16).

رابعا: الهويـــة.

يشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيء هو هو، أي مـن حيـث تشخصه وتحققه في ذاته وتميزه عن غيره، فهو وعاء الضمير الجمعـي لأي تكتل بشري، ومحتوى لهذا الضمير في نفس الآن، بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة وارادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها(عباس الجراري: مكونات الهوية الثقافية المغربية(مقال منشـور)، 1988، ص22)، وتعتبر الهوية عن حقيقة الشيء المطلقـة المشـتملة علـى صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره، كما تعبر عن خاصـية المطابقـة أي مطابقة الشيء لنفسه أو لمثله، وبالتالي فالهوية الثقافية لأي شعب هـي القـدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارته عن غيرها من الحضارات(عباس الطائي: آفات اللغة والهوية(مقـال منشـور بموقع: www.ahwazstudies.org.

ثالثا: مفهوم الانفتاح الثقافي.

هو عبارة عن منهجية ثقافية, قوامها البحث عن المعرفة من كـل الثقافـات الإنسانية، دون العمل على إلغاء بعض الثقافات وإقصائها من الخريطة الثقافية. وإنما هو تواصل من الثقافات الإنسانية بغية التعرف على الجديد الذي تطرحه، والآفاق التي ترسمها، انطلاقاً من خلفيتها العقدية والفكرية، وعن طريق هذا التواصـل والانفتـاح الثقافيين, يتمكن المثقف من امتلاك الرؤية المستقبلية، لأنه يعتمد في تكوينه وتعاطيـه

[1] - http://forum.toleen.com/94464.html.

الثقافي على الانفتاح والتواصل الثقافيين، مـــع العنايـــة والاهتمـــام الجـــدي بـــالفكر الاستراتيجي. وعلى المستوى العملي لا نجد أن مثقفاً أو مفكراً ,اســـتطاع أن يمتلـــك رؤية مستقبلية، دون تواصله مع الثقافات العالمية. وإنما دائماً التواصل الواعي مـــع الإنتاج الثقافي العالمي يوفر للمثقف أدوات معرفية ومفهومية جديدة، تزيد من آفاقـــه الذهنية والفكرية، وتعمق من طموحاته الثقافية، مما يؤدي الى وصول المثقـــف الـــى مرحلة النضج الثقافي والفكري. وحينذاك يبدأ المثقف معرفة قضايا المستقبل ضـــمن إطار ورؤية علمية ومعرفية.ولا نقصد بالانفتاح هنا التواصل العشوائي مع الثقافـــات الإنسانية الأخرى، وإنما المقصود الانفتاح مع وجود الناظم الفكري والمنهجي, ممـــا يسهل على المثقف، في المجال العربي والإسلامي، عملية الهضم والاستيعاب لتلـــك الثقافة. وغياب هذا الناظم المنهجي, يعني دخول المثقف فـــي متاهـــات المنظومـــات الثقافية المغايرة، دون الخروج منها بحصيلة ثقافية ومعرفية تتناغم والظروف الذاتية والموضوعية للمحيط العربي والإسلامي. ولذلك نستطيع القـــول إن تـــوافر الرؤيـــة المستقبلية في حياة المثقف العربي الإسلامي أصبحت من الضروريات القصوى التي تؤهل المثقف لممارسة دوره, والقيام بمسؤولياته المجتمعية والفكرية على أكمل وجه[2].

المتغيرات المعاصرة وأثرها على مفهوم المواطنة:

تشير الأحداث اليومية التي يؤكدها الواقع المعاش وتنشـــغل بهـــا الأوســـاط السياسية والثقافية والإعلامية والجماهيرية إلى تحد واضح متجـــدد لمبـــدأ المواطنـــة ومفاهيمها في العالم العربي والإسلامي على وجه الخصوص، وتتعدد هـــذه العوامـــل التي يقف خلف هذا التحدي لتشمل متغيرات فكريـــة وثقافيـــة وسياســـية واجتماعيـــة تبلورت في إطار القوة الواحدة في العالم ونظرتها لمن حولها وما تهـــدف إليـــه مـــن مصالح جعلتها تروج لمفهوم جديد لمواطنة عالمية في عصر يعرف بعصر العولمـــة تدعمها في السعي الحثيث لتحقيق ذلك القوة السياسية والعسكرية التي تحت يدها، ومن أهم هذه المتغيرات التي تعد دواعي أساسية لانبعاث هذا المفهوم الجديـــد للمواطنـــة والذي سمي (المواطنة عديدة الأبعاد) المتغيرات التالية:

1- إن عولمة الأسواق تؤدي إلى توحيد المقاييس الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلاقات الثقافية بين المجتمعات.

[2] - http://befree/net/forums/showthread.php?t=73755

2- إن النمو في صناعة الاتصالات العالمية سوف يزيد من تأثير اللغة الإنجليزية في الحياة اليومية لشعوب العالم.

3- الاختلاف الثقافي سوف يصبح النقطة المركزية للسياسات القومية والدولية.

4- الهويات الدينية والأخلاقية سوف تزداد بشكل مثير بما يؤثر في مركزية الســلطة في العالم

5- في عالم تتزايد فيه إزالة الحدود فإن التعاون بين الأمم يجب أن يلعب دوراً أكبــر ويتولى وظائف ومهام الأمة.

6- إن مستوى التوتر الناشئ عن التنافس للنمو الاقتصادي من جهة والمســؤوليات الأخلاقية والبيئية من جهة أخرى سوف تزداد بشكل ملحوظ.

7- إن التطور العلمي وكذلك القوة النووية تزداد بشكل مستمر كمصدر هــام للطاقــة رغم خطورتها البيئية.

8- إن تقنية المعلومات ستشجع الاتصال وستسهم في توحد الإفهام عبــر الثقافــات والأمم والتأثير على الخصوصيات.

9- الصراع داخل الجماعات (الأخلاقي - الديني – الإقليمي) سوف يــزداد بشــكل ملحوظ داخل الأمم وفيما بينها.

10- تأثير الإعلام العالمي في السلوك الإنساني سوف يزداد بشكل مثير.

وإذا كانت المتغيرات العالمية المعاصرة تلقي بتبعات ومسؤوليات جديدة على المواطنة ،تضاف إلى خللها وتشوهها في بنية الوعي العربي وما يترتب عليهــا مــن ممارسات وانشقاقات، وإذا كان تقدم وسائل الاتصال والبث في العصر الحاضر أدى إلى نوع من الانفتاح غير المسبوق الذي يؤدي في مجال الفكر والمفــاهيم السياســية والثقافية إلى اختلاط في الأوراق وخلل في الرؤية والاختيارات.

فإلى أي مدى تأثرت أبعاد المواطنة لدى الشباب الجزائري بمضامين الانفتاح الثقافي؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال الدراسة الميدانية .

الدراسات السابقة:

تتمثل أهم الدراسات السابقة ذات العلاقة المباشرة بالدراسة الحالية فيما يلي-:

أ- دراسات عربية:

1- دراسة عثمان بن صالح العامر:(المواطنة في الفكر الغربي المعاصر "دراسة نقدية من منظور إسلامي") وخلصت الدراسة إلى أن هناك العديد من الملابسات التي تحيط بمفهوم المواطنة في الفكر الغربي المعاصر مما يجعل المفهوم في حاجة إلى مراجعة مدى صلاحيته للدول العربية. ،وأن العمومية والعالمية التي يصبغ بها المفهوم الغربي للمواطنة يخرج به عن سياقه التاريخي والاجتماعي وإطاره الزماني والمكاني.

وأن التناول الغربي للمواطنة اعتمد على مفهومي الخطية والجبرية في تحقيق المساواة والديمقراطية ، واعتبر نموذجاً يجب اتباعه من قبل كل الدول مما يشير إلى تجاهـــل الطبائع المختلفة للمجتمعات وأطرها الفكرية ومنطلقاتها الدينية.

ب) الدراسات الأجنبية :

1- دراسة روبرت وياش: (القيادة في الثقافة المواطنية) ، تناولت الدراســـة اهتمـــام القائمين على الدراسات الاجتماعية – في الوقت الراهن – بالمواطنة وتحسين الثقافـــة المواطنية في الولايات المتحدة، وتطور مفهوم القيادة وأثرها في تفعيل تلك الثقافـــة ، ودور التعليم في تنمية كفايات القيادة لتفعيل ثقافة المواطنة .وأشارت الدراسة إلـــى أن هناك ما يزيد على نصف مليون من طلاب المدارس الثانوية يشاركون فـــي بـــرامج معدة خصيصاً لتشجيع ثقافة القيادة المواطنية وتطوير مهاراتها، وعالجـــت الدراســـة مفهوم كل من القيادة والمواطنة والروابط بينهما والسمات الأساسية اللازمة لتفعيـــل دور القيادة في حل مشكلات المواطنة وخلق الدوافع، وأوصت الدراسة بضرورة قيام مدارس التعليم العام بدورها في تطوير روح القيادة والمواطنة.

الجانب الميداني للدراسة

مجالات الدراسة:

المجال الزماني: تمت الدراسة في الفترة الممتدة من آواخر شهر ســـبتمبر إلـــى آواخر شهر أكتوبر2010، وقد قمنا خلالها بإجراء الدراسة الميدانية بجميع مراحلهـــا من دراسة استطلاعية استكشافية مبدئية إلى مرحلة توزيع الاستبيان على عينة مـــن الطلبة بجامعة محمد خيضر، وصولا إلى تفريغ البيانات واستخلاص النتـــائج التـــي تحصلنا عليها في الأخير من خلال الجانبين النظري والميداني لهذه الدراسة.

المجال المكاني: أنشئت كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة محمد خيضـــر بسكرة بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 09-09 مؤرخ فـــي 21 صـــفر عـــام 1430 الموافق 17فبراير سنة 2009، يعدل ويتمم المرسوم التنفيذي رقم 98-219 المؤرخ في 13 ربيع الأول عام 1419 الموافق 7يوليو سنة 1998 والمتضمن انشاء جامعـــة محمد خيضر بسكرة، ومقر الكلية القطب الجامعي شتمة بسكرة، وتضم ثلاثة أقســـام وهي العلوم الاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، قسم التربية البدنية والرياضية، تحتوي الكلية على هيكل اداري وبيداغوجي هام يساعد على السير الحسن لها.

المجال البشري: تمت هذه الدراسة على عينة من طلبة الاعلام والاتصال الســـنة الرابعة والبالغ عددهم الاجمالي323 طلبا وطالبة(205إنـــاث، 118انـــاث)، ونظـــرا للظروف الخاصة التي أجريت فيها الدراسة كونها صادفت نهاية الموسم الجـــامعي، وضيق الوقت، وصعوبة جمع أكبر عدد من الطلبة خاصة مع انشـــغالهم بالتحضـــير للامتحانات النهائية، إضافة إلى عدم وضوح مصطلح المواطنة لدى الطلبة الجامعيين (وهذا من خلال اجراء بعض المقابلات مع بعض الطلبة بســـؤالهم عـــن مفهـــومهم الخاص لهذا المصطلح، فكانت اجابتهم بين لا أعلم ومعناها مواطن)، إضـــافة إلـــى صعوبة الاتصال بعدد كبير من الطلبة، مما دفعنا إلى حصر عينـــة دراســـتنا فـــي مجموعة من طلبة السنة الرابعة (بما أننا قمنا بتدريسهم في الأعمال الموجهة في العام المنصرم)، ليبلغ عددهم في الأخير 40 طالبا وطالبة من أصل 323.

نـــوع الدراسة:

تدخل دراستنا ضمن الدراسات الاستطلاعية، وتعرف على أنهـــا الدراســـات التي يقوم بها الباحث بهدف التعرف على مشكلة ما، وهذا النوع من الدراسات يقوم به الباحث عندما يكون موضوع البحث جديدا عليه لم يسبق أن استكشف من قبل باحثين آخرين أو أن مستوى المعلومات عنه قليلة(أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، 1996،ص31).

المنهج المعتمد في الدراسة:

إن استخدام واختيار المنهج يختلف باختلاف طبيعة المواضيع والظواهر التـــي تتناولها العلوم الاجتماعية، فالباحث بحاجة إلى منهج يتبعه في كل مراحـــل بحثـــه و المنهج هو عبارة عن مجموعة العمليات والخطوات التي يتبعها الباحث بغية تحقيق بحثه (رشيد زرواتي: تدريبات على منهجية البحث في العلوم الاجتماعية، 2002، 112).

وبالتالي فالمنهج ضروري للبحث .حيث هو عبارة عن مجموعة من الطرق تطبق مـــن أجل الكشف عن الظواهر والعلاقات التي تربط بين بعضها البعض وتتوقـــف عمليـــة اختيار منهج معين دون سواه، وانطلاقًا من موضوع الدراسة الذي نحاول من خلالـــه معرفة أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب الجزائـــري، اســـتخدمنا المنهج الوصفي التحليلي وذلك لتحليل الكتابات ذات الصلة للتعـــرف علـــى مفهـــوم المواطنة وعلاقته بمفهوم الانتماء ورصد أهم المتغيرات العالمية المعاصرة التي تلقي بظلالها على مبدأ المواطنة، كما استخدمنا بعض الأساليب الإحصائية لتحليـــل نتـــائج (الدراسة الميدانية) كالتكرار والنسب المئوية، والمنهج الوصفي التحليلي هو طريقـــة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محـــددة لوضعية اجتماعية ومشكلة اجتماعية(عمار بوحوش.محمد الذيبيات: منـــاهج البحـــث العلمي وطرق اعداد البحث ، 1995، ص129)، وتتلخص مراحلـــه فـــي مـــرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى ويطلق عليها بمرحلة الاستطلاع، والمرحلة الثانية يطلق عليها مرحلة الوصف الموضوعي، وتهدف المرحلة الاستطلاعية إلى تكوين أطر يمكن اختيارهـــا، وذلك بعد تحديد واضح لمشكلة الدراسة أو البحث موضوع الاهتمام"(منهجية البحـــث العلمي، محمد عبيدات وآخرون، 1999، ص47)، والهدف من استخدامنا لهذا المنهج هو وصفنا لظاهرة محل الدراسة، ومحاولتنا تسليط الضوء عليها وتوضـــيحها بشـــكل دقيق، وذلك من خلال جمع البيانات و تحليلها وبالتالي الوصول إلى استنتاجات عامة في نهاية البحث، إضافة إلى استعانتنا ببعض المبادئ الإحصائية لمعالجة البيانات التي تـــم جمعها عن طريق المقابلات التي أجريت مع المبحوثين.

الأدوات المستخدمة:

المقابلـــة: وتعرف المقابلة على أنها تفاعل لفظي يتم عن طريق موقف مواجهـــة يحاول فيه الشخص القائم على المقابلة أن يستشف معلومات أو أداء أو معتقدات شخص آخر أو أشخاص آخرين للحصول على بعض البيانات الموضوعية(طلعـــت إبـــراهيم لطفي، أساليب وأدوات البحث الاجتماعي.، 1995، ص86)، كما تعرف أنها وســـيلة تقوم على حوار حديث لفظي مباشر بين الباحث و المبحوث(فضيل دبليو و آخـــرون، أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، 29004، 191)، كما تعد المقابلة إحـــدى أدوات جمع البيانات فعن طريقها تقصى الباحث الحقائق المختلفة المتعلقة بموضوع الدراسة،

وهي تحتل مركزًا هامًا في البحث السوسيولوجي وهي أكثر الوسائل شيوعًا واستخدامًا لما تمتاز به من البساطة والمرونة، ويشترط أن يكون الباحث محايدًا، أما المبحوث فهي تتيح له حديث الإفصاح عن أفكاره ومشاعره و أدائه حول موضوع الدراسة كما أنهـــا تسهل ملئ الاستمارة بالنسبة للفئة التي تجهل القراءة والكتابة.

الاستبيان(الاستمارة):تمثل الاستمارة أداة هامة في البحث الميداني ويعرف بأنهـــا نموذج بضع مجموعة أسئلة توجه إلى الأفراد من أجل الحصول على معلومات حـــول موضوع أو مسالة ثم تنفيذ الاستمارة إما عن طريق المقابلة الشخصية أو أن ترسل إلى المبحوثين عن طريق البريد (محمد علي محمد، علم الاجتماع و المنهج العلمي، 1980، ص339)، كما أنها تعرف كأنها مجموعة أسئلة بعضها مفتوحة وبعضها مغلق والبعض الآخر أسئلة تصنيفية فهي وسيلة من وسائل جمع البيانات اللازمة و الكافة عن موضوع الدراسة حيث تستخدم في معظم البحوث الميدانية. و الاستمارة لا تكون ذات أهمية دون الاعتماد في صياغتها وفق ما يمثله مجال البحث ماديًا ,ثقافيًا واجتماعيًا(إسماعيل بـــن السعدي، أساسيات في منهجية وتقنيات البحث فـــي العلـــوم الاجتماعيـــة، 2005، ص 114). وقد مر تصميم استمارة بحثنا بمرحلتين هما:

المرحلة الأولى: بعد الانتهاء من صياغة أسئلة الاستمارة وترتيبها ووضع عناوين لموضوعاتها الفرعية، تم القيام بتطبيق أولي للاستمارة على بعض الطلبـــة بالقطـــب الجامعي بشتمة، والهدف من ذلك هو اكتشاف مدى صلاحية وسلامة الأسئلة سواء ما تعلق منها بالأسلوب أو الغموض الذي يعتريها أو ترتيب عناصرها.

المرحلة الثانية: بعد اجراء التعديلات اللازمة التي لاحظناها ميدانيا تـــم ضـــبط الاستمارة في شكلها النهائي والتي شملت 20 سؤالا وزعنـــاه علـــى (04) محـــاور، فجاءت الأسئلة في المحور الأول أسئلة خاصة بالبيانات العامـــة (الجـــنس، الحالـــة الاجتماعية، محل الإقامة، مستوى دخل الأسرة، مستوى تعليم الوالدين،...الخ)، بينما باقي الأسئلة جاءت من أجل الدراسة الاستطلاعية، رغبة في الحصول على بعـــض المعلومات التي من شأنها أن تساعدنا في تحليل النتائج التي سنتوصل إليها.

العينة وكيفية اختيارها:

تعتبر مرحلة تحديد مجتمع البحث من أهم الخطوات المنهجية فـــي البحـــوث الاجتماعية، وهي تتطلب من الباحث دقة بالغة، إذ يتوقـــف عليهـــا إجـــراء البحـــث وتصميمه، وكذا نتائج الدراسة الامبريقية والتي يثبت صدقها كلما زاد أفراد مجتمـــع

البحث والعكس صحيح، لكن هذا الأمر ليس سهلا لذا يلجأ الباحث في الغالـــب إلـــى انتقاء عدد محدود من المفردات يأخذها في حدود الوقت والجهد والإمكانات المتاحة. إن العينة في أبسط تعريفاتها المقدمة تعني على أنها: "مجموعة جزئية يقوم الباحـــث بتطبيق دراسته عليها ويجب أن تكون ممثلة لخصائص مجتمع الدراسة الكلي"(حســـن المنسي: منهج البحث التربوي، 1999، ص92). ولقد اقتضى منا البحـــث اســـتخدام العينة العشوائية البسيطة، وهي: "ذلك النموذج من السكان الـــذي يختـــار بالطريقـــة العشوائية والذي تشتق من خلال دراسته المعلومات، وتستخرج الاستنتاجات وتبنـــى التعميمات الشمولية الكونية عن مجتمع البحث الذي انتقيـــت منـــه العينـــة، والعينـــة العشوائية غالبا ما تكون ممثلة لمجتمع البحث وعاكسة للبيانات والحقائق التي يتســـم بها، والطريقة هي الطريقة التي تعطي جميع الوحدات الســـكانية فرصـــة متســـاوية للاختيار في العينة المطلوب دراستها وتحليلها(احسان محمد الحسن: منـــاهج البحـــث الاجتماعي، 2009، ص202).

لطبيعة الموضوع ولمتغيري الدراسة فقد شكل مجتمع البحث مجمـــع طلبـــة الاعلام والاتصال السنة الرابعة، والذي يبلغ عددهم ، وقد قمنا باختبـــار عينـــة مـــن الطلبة بالطريقة العشوائية فوجين من مجموع أفواج، فوقع الاختيار على الفوج والفوج والذي بلغ مجموع عددهما: طالب، وبالتالي شكلت عينة دراســـتنا هـــذه 46 طالبـــا وطالبة.

نتائج الدراســـة:

عند قيامنا بنظرة متفحصة على ما أسفرت عنه عملية التحليل الإحصائي في دراستنا هذه من نتائج كشفنا عن مجموعة من الملاحظات الهامة التي تعكس الواقـــع النفسي والاجتماعي والفكري والثقافي والسياسي الذي يعيشه الشباب الجزائري فـــي الآونة الأخيرة، وما يشهده المجتمع الجزائري مثل غيره من المجتمعات مجموعة من المتغيرات والمستجدات التي تحدث على مسرح الأحداث الإقليمية والدوليـــة، يمكننـــا تلخيصها في النقاط التالية:

1- لاشك أن التفتح غير مســـبوق لأبـــواب الإعـــلام والاتصـــال مـــن خـــلال فضائيات تحمل من الثقافة السياسية أطيافاً وألواناً ، وشبكة المعلومات (الانترنت) وما تقدمه من أراء وأطروحات ذات علاقة وثيقة بالجغرافية السياســـية للمجتمـــع الجزائري، والتي تتسم بإيقاع سريع قد أحدثت نوعاً من الاختلال والاضـــطراب

فيما يعتقده الشباب من قيم وما يؤمن به من مفاهيم وقناعات ومـــا يتبنـــاه مـــن اتجاهات.

2- ظهر تناقض في بنية الوعي والصورة الذهنية لدى الشـــباب عـــن بعـــض المفردات المرتبطة بالتعددية، والانفتاح على الآخر، والحرية والمشاركة السياسية >

3- انقسمت أراء المبحوثين بين التردد تارة بين الإقبال على الفكر المطروح عبر وسائل الاتصال والإعلام وبين التمسك بالجذور وما وقر في ضمير المجتمع مـــن مفاهيم وقناعات سياسية وثقافية واجتماعية، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن عمليات الانفتاح وضعت الشباب الجزائري (عينة الدراسة) على عتبة الأزمة الفكرية في تلمس الخطى المناسبة في ظل هذا الـــزخم المثيـــر والمشـــتت مـــن المعلومات والأخبار والأحداث.

4- كما دلت الدراسة على حالة من الصراع الفكري والأيديولوجي بين التيارات الفكرية والعقائدية المتواجدة في الساحة الجزائرية سواء ذات البعد الديني الـــداعي إلى وجوب الحفاظ على الخصوصية والهوية الذاتية أو التيارات ذات المنطلقـــات الغربية الوافدة الداعية إلى التحررية والانفتاح دونما اعتبـــار للشـــروط الدينيـــة والتاريخية والقسمات الحضارية للمجتمع الجزائري.

5- ولما كان جمع من الشباب الجزائري يعايش العصر بواقعه ويتأثر به ويستمد أحكامه القيمية ومعاييره السلوكية منه فإن ما يسوده من اضطراب وتناقض فـــي وعيه وتصوره وإدراكه هو محصلة فعلية لهذا الواقع.

6- ظهور قصور واضح في دور العديد من مؤسسات المجتمع الثقافية والتعليمية في تشكيل ودعم وتنمية الوعي بالصورة التي تقتضيها غايات المجتمع، مستوعبة ما يحدث على أرض الواقع من أحداث وما ينفث من أفكار، ساعية إلـــى تأكيـــد استمرارية الاحتفاظ بالجذور وتنمية الإحساس بالهوية والانتمـــاء لـــدى الشـــباب الجزائري.

7- أما فيما يختص بالفروق ذات الدلالة الإحصائية التي تعزى إلـــى متغيـــرات الجنس ونوع التعليم ومحل الإقامة، ومستوى دخل الأسرة ، والحالـــة التعليميـــة للوالد ومصادر الثقافة السياسية فإن الفروق الدالة إحصائياً جاءت في بعض أبعاد المواطنة لصالح التعليم الجامعي ، والإقامة في المدن ، ومستوى الدخل الذي يزيد

عن (20000دينار) شهرياً والوالد الحاصل على مؤهل جامعي، والشباب الـــذين يعتمدون على الفضائيات والإنترنت كمصادر للثقافة السياسية، وعلى الرغم مـــن وجود هذه الفروق إلا أنها جاءت في بعض الأبعاد دون غيرها وتركـــزت فـــي معظمها على ما يخص الانفتاح، مما يبرهن و يؤكد أثر الانفتاح الثقـــافي علـــى المفاهيم السياسية عامة ومفهوم المواطنة خاصة، في حين تظل فئات الشباب مـــن عينة الدراسة الذين يستمدون ثقافاتهم السياسية من المصادر التقليدية أكثر ميلاً إلى المفاهيم السائدة وأكثر تمسكاً بالمألوف وأعمق ارتباطاً بالجـــذور الثقافيـــة التـــي غرست في التربية الوطنية الداخلية

الاقتراحات وتوصيات:

1- على ضوء معالجة الدراسة لمفهوم المواطنة وعلاقته بمفهوم الانتماء ، وكـــذا العرض الموجز لأبرز اتجاهات الفكر التي أثرت على الـــوعي العربـــي بمبـــدأ المواطنة، وأهم المتغيرات العالمية والمجتمعية التي تمثل تحديات حرجة وواضحة للمواطنة، والانعكاسات لعملية الانفتاح الثقافي على أهم أبعاد المواطنة المطروحة في الساحة العالمية والتي أكدتها نتائج الدراســـة الميدانيـــة،وانطلاقاً مـــن أهميـــة المواطنة (مفهوماً وممارسة) وضرورة تعزيزها على نحو دائم بمشاركة فاعلـــة من مختلف مؤسسات المجتمع تطرح الدراسة في هذا الجزء رؤية مقترحة يمكـــن أن تسهم في تفعيل مبدأ المواطنة.

2- إذا سلمنا بأن المواطنة مفهوم يتسع ويتغلل في آن واحد في كل ممارســـات الأفراد وبنية تفكيرهم المنتجة لمعيار العلاقة بين الفرد والمجتمع ، وما يحيط بـــه من إطار ثقافي قانوني يؤطر آليات مشاركة المواطن في الشأن العام والحفاظ على المصلحة الوطنية العامة(إذا سلمنا بذلك) فإن آليات تنمية وتعزيز مبدأ المواطنـــة بمختلف أبعادها وتعدد مستويات ممارستها تصبح قضية مجتمع بأكمله تتداخل فيها المسؤوليات وتتشابك لتصبح مهمة وطنية يحكمها الانسجام وينظمها سياق التناغم.

3- في هذا السياق تصبح أطروحات الرؤى المقترحة عمومية نظرية ما لم تلتحم معالمها بآليات مؤسسية محددة. وبحكم ما للتعليم من أهمية وصلة مباشرة بســـبل التشكيل لشخصيات النشء والتنشئة الاجتماعية والثقافية والسياسية بما يجعله بوتقة تنصهر فيها مختلف التنوعات والانتماءات علـــى أرضـــية المواطنـــة ، ونظـــراً للمسؤوليات الكبيرة المنوطة بالتعليم في هذا الشأن، وما تعلقه سياسة الدولة مـــن

آمال على التعليم في تكريس الممارسات الوطنية وما تفرضه على الباحث بوصفه أحد منسوبي وزارة التربية والتعليم. فإن الرؤية المقترحة تقوم علـــى ركيـــزيتن رئيسيتين-:

الركيزة الأولى : الآفاق العامة لتفعيل المواطنة. وتتمثل فيما يلي:

– تأسيس العلاقة بين مكونات المجتمع والدولة على أسس دينية وطنية تتجاوز كل الأطر والعناوين الضيقة ، بحيث يكون الجامع العام لكل المكونـــات والتعبيـــرات والأطياف هو المواطنة المنبثقة من النص الشرعي المراعي لأسس تكوين الدولة الصالحة لكل زمان ومكان والتي لا تعني فقط جملة الحقوق والمكاسب الوطنيـــة المتوخاه وإنما تعني أيضاً جملة من الواجبات والمسؤوليات العامة الملقـــاة علـــى عاتق كل مواطن.

– تطوير قواعد الوحدة والاجتماع الوطني وتعميق الالتزام بالجوامع والمشتركات الوطنية ومقتضياتها من خلال الممارسات المنضبطة بضوابط العـــدل والحريـــة القائمة على المفاهيم الشرعية المنصوص عليها المراعية للواقع الدارسة للأحداث، إضافة إلى التركيز على إبراز مبدأ المواطنة في فضائنا الاجتماعي وذلك بتوسيع رقعة ومساحة المشاركة في الشأن العام شريطة توافر استعدادات حقيقيـــة عنـــد جميع الشرائح والفئات لتحمل مسؤولياتها ودورها في الحياة العامة.

الركيزة الثانية: مسؤولية التعليم في تعزيز المواطنة.

– إن الضمانات الحقيقية للممارسة الوطنية السليمة لا تكمن في تلك الآفاق التـــي تحدد معالم الفضاء الاجتماعي والثقافي، وإنما تتمثل فـــي مـــدى تشـــرب أفـــراد المجتمع لقيم المواطنة الحقيقية منذ الصغر والتدريب على ممارستها عمليـــاً فـــي مختلف المؤسسات والوسائط التربوية حسب طبيعة المرحلة التي يمر بها الفرد.

خاتمـــة:

أدت الثورة الاتصالية ما أفرز ما أسميناه بالتفتح الثقافي في دراستنا هذه إلـــى تشارك المواطنين في أنحاء العالم الثقافات واختلاطها، مما أدى تدريجيا إلى ظهـــور مفهوم المواطن العالمي، هذا المواطن المنتمي إلى الانسانية في عمومها، وهو الـــذي أصبح يدرك ضرورة التشارك الانساني لمواجهة المشكلات التي تشكل خطرا علـــى التكوين بأسره، بداية من مشكلات البيئة وانتهاء بأسلحة الدمار الشامل، وفي المقابـــل انتشرت ظواهر العزلة والاغتراب وعدم الانتماء بسبب تأثير نفس الوسائل الاتصالية.

وفي ظل هذه الظروف المتردية السائدة على مستوى العالم والمنطقة العربية والتراجع الحاصل على الصعيد الذاتي العام، نحـــن بحاجـــة إلـــى مراجعـــة ذاتيـــة وموضوعية لكل المتغيرات التي تحدث، من خلال تجسيد الانتماء الوطني بكل قيمـــه المقدسة، علنا نوقف حالة التدمير التي تحدث على الصعيد الذاتي والعام، خاصة لدى فئة الشباب، محاولين العودة للقيم الاجتماعية السليمة وتعزيز حب الوطن، التضحية، والاستعداد للعطاء والمقاومة من خلال سلوك واع ومنسجم مع الأخلاق والقيم الوطنية لمجتمعنا الجزائري.

المراجع المعتمدة في الدراسة:

1- جمال الدين (ابن منظـــور): **لسان العرب**، دار صادر، المجلد السادس، بيروت (لبنـــان)، 1997.

2- أحمد حكمت شمس الدين/ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان: مفهوم المواطنـــة مـــن موقـــع الأقصر نت.

3- محمد عاطف غيث: **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الاســـكندرية(مصـــر)، 1995.

4- السيد ياسين: **المواطنة في زمن العولمة**، 2002.

5- الزبيدي: **المواطنة**، 1421هـــ.

6- الموسوعة العربية العالمية: تعريف المواطنة، 1996.

7- http://forum.toleen.com/94464.html.

7- أحمد زكي بدوي: **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، 1978.

8- نجلاء عبد الحميد راتب: **الانتماء الاجتماعي للشباب المصري**"دراسة سوســـيولوجية فـــي حقبة الانفتاح"، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، 1999.

9- http://forum.toleen.com/94464.html.

10- رشيد زرواتي: **تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية**، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة(الجزائر)، 2008.

11- عمار بوحوش، محمد الذيبيات: **مناهج البحث العلمي وطرق اعداد البحث**، 1995.

12- طلعت إبراهيم لطفي: **أساليب وأدوات البحث الاجتماعي**.، 1995.

13- فضيل (دليـــو)، غربي علي: **أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية**، منشورات جامعـــة منتوري، قسنطينة(الجزائر)، 1999.

14- أحمد علي محمد: **علم الاجتماع و المنهج العلمي**، 1980.

15- اسماعيل بن السعدي: **أساسيات في منهجية وتقنيات البحـــث فـــي العلـــوم الاجتماعيـــة**، 2005.

16- حسن المنســـي: **منهج البحث التربوي**، دار الكندي، الأردن، 1999.

17- احسان محمد الحسن: **مناهج البحث الاجتماعي**، ط2، دار وائل للنشر، عمـــان(الأردن)، 2009.

18- سعيد عبد الحافظ: **المواطنة (حقوق وواجبات)**، مركـــز ماعـــت للدراســـات الحقوقيـــة والدستورية، بدون تاريخ.

20- **http://almowatana.maktoobblog.com**

21- http://habibslawi.maktoobblog.com/

22- أحمد بدر: **أصول البحث العلمي ومناهجه**، المكتبة الأكاديمية، مصر، 1996، ص31.

23- أحمد عبيدات، محمد أبو نصار، مقلة مبيضين: **منهجية البحث العلمي"القواعد و المراحل و التطبيقات**، الجامعة الأردنية، دار وائل للنشر، 1999.

24- عبـــاس الطـــائي: آفـــات اللغـــة والهويـــة، مقـــال نشـــر بـــالموقع الالكترونـــي: www.ahwazstudies.org.

25- عباس الجراري: مكونات الهوية الثقافية المغربية، مقال نشر ضمن كتاب: الهوية الثقافية للمغرب، كتاب العلم، السلسلة الجديدة، 1988، ص22.